مجلة الإحياء، المجلد 26، العدد: 39، جويلية 2026، ص - ص: 249-268
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

توظيف الآيات الكونية في الدعوة إلى الإسلام

Using verses about the universe in calling to Islam

طالب دكتوراه: محمد افقيه
Mohammed AFKIH
جامعة غرداية
afkih.mohammed@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2026/04/19 تاريخ القبول: 2026/07/24

الملخص:
تتناول هذه الدراسة توظيف الآيات الكونية في الدعوة إلى الإسلام، بحيث تظهر ضرورة استخدام هذه الآيات كدليل وبرهان للتأكيد على وحدانية الله وقدرته، وبيان دورها في تقوية إيمان المسلمين وإقناع الكفار. يعتبر التفكر في الآيات الكونية واجبا مهما لإيصال الناس إلى معرفة الله، وأوصافه. كذلك يُبرز البحث ضرورة استخدام الاكتشافات العلمية لنشر المعرفة العلمية لدعم الإيمان. ويشير إلى أهمية الربط بين الحقائق العلمية والإيمان.
ويؤكد البحث على أهمية استخدام الآيات الكونية في مواجهة الشبهات، وتوجيه الناس نحو الإيمان عبرها بدل أن تستغل في نشر الإلحاد، مُشددًا على ضرورة مراعاة الضوابط عند تفسير النصوص القرآنية التي تشير إلى الحقائق العلمية. ويختتم بنتيجة أن حسن استخدام العلم بمنطق رصين كفيل بإظهار عوار الإلحاد، وأن إظهار حكمة الله في خلقه برهان للإيمان، ويجب استخدامه الاستخدام الأحسن لفتح القلوب وتنوير العقول وهدايتها إلى نور الإسلام.
الكلمات المفتاحية: آيات كونية؛ الدعوة؛ التفكر؛ اكتشافات؛ إعجاز.

Abstract:
This study addresses the use of cosmic verses in the call to Islam، highlighting the necessity of using these verses as evidence and proof to affirm the oneness of God and His power، and to demonstrate their role in strengthening the faith of Muslims and convincing non-believers. Reflecting on the cosmic signs is considered an important duty to lead people to the knowledge of God and His attributes. The research also highlights the necessity of using scientific discoveries to disseminate scientific knowledge to support faith. And it points to the importance of linking scientific facts with faith. The research emphasizes the importance of using cosmic verses to confront doubts and guide people toward faith thru them instead of exploiting them to spread atheism، stressing the necessity of adhering to guidelines when interpreting Quranic texts that refer to scientific facts. It concludes with the result that the proper use of science with sound reasoning is sufficient to expose the flaws of atheism، and that demonstrating God's wisdom in His creation is a proof of faith. It should be used in the best way to open hearts، enlighten minds، and guide them to the light of Islam.
Key words: Cosmic signs; Calling; Contemplation; Discoveries; Miracle.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن الدعوة إلى الله تعالى ضرورة في كل عصر ومصر، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين وهي واجب على المسلمين في مختلف الأزمان، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104)، وقد اهتم القرآن بتنويع أساليبها كثيرا؛ فجاءت آياته بأساليب مختلفة ومتعددة لدعوة الناس إلى الإسلام، وبيان أنه الحق، ولتثبيت المؤمنين على طريق الحق، والتضحية في سبيله، بل والمساهمة في نشره وإيصاله إلى مختلف الناس مهما تباعدت الأقطار واختلفت الأفكار.

ومن هذه الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لإقناع الناس بالإسلام وعقيدته الدعوةُ إلى التفكر في الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله، وعلى عظمته وقدرته وبديع صنعه، وتوجيه الإنسان إلى النظر فوقه إلى السماء وإلى الشمس والقمر والنجوم، وحوله إلى الأرض والجبال والبحار وغيرها، ليتحرك قلبه وعقله للإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: 101). وإن حاجة الإنسان المعاصر شديدة إلى خطاب عقلاني؛ يوازن بين النصوص القرآنية التي تذكر الآيات الكونية وبين الحقائق العلمية. وهذا يتم عبر التفكر في الآيات الكونية.

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية: كيف يمكن توظيف الآيات الكونية في القرآن الكريم لدعوة مختلف الناس في هذا العصر؟

وتنبثق من هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية: كيف رسخ القرآن الكريم الاهتمام بالآيات الكونية؟ وما هي الأساليب الدعوية التي يمكن اعتمادها في توظيف الآيات الكونية المذكورة في القرآن الكريم؟ وكيف يمكن الاستفادة من الكشوف العلمية في هذا التوظيف؟

وتأتي أهمية البحث في كونه يسعى إلى استقراء منهج القرآن الكريم في توظيف الآيات الكونية، وأثرها في الدعوة سواء في دعوة المسلمين أو في دعوة الكفار إلى الإسلام، مع ذكر الأساليب العملية لتوظيف الآيات الكونية، حتى يستفيد منها الدعاة في واقعنا المعاصر.

ويهدف هذا البحث كذلك إلى توضيح ضرورة الاهتمام بالآيات الكونية في حماية العقيدة والدعوة إليها، وتوضيح أثرها في تقوية إيمان المسلمين وإقناع الكفار. وبيان منهج الربط المتوازن بين القرآن الكريم والحقائق العلمية المكتشفة حديثا، والطرق والوسائل المناسب استعمالها لتفعيل الخطاب الدعوي في هذا الجانب الذي يغيب كثيرا في الأوساط الدعوية عموما والوعظية خصوصا.

وللإجابة عن إشكالية البحث اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي لجمع الآيات المتعلقة بالموضوع، وبيان كيفية توجيهها للإيمان، والمنهج الوصفي التحليلي لتحليل النصوص التي أوردتها وبيان الأسلوب القرآني في ربطها بالعقيدة والمنهج التطبيقي لدراسة التجارب الدعوية التي اعتمدت على الظواهر الكونية في الدعوة.

أما الدراسات السابقة ففيه بحث لصالح الفريح بعنوان "الخطاب الدعوي عند علماء الإعجاز العلمي في الإسلام بين العلمية والغلو" لكنه يقتصر على الكلام عن الإعجاز العلمي ومكانته وما قد يصاحبه من الغلو عند غير المتخصصين.

ورسالة لعبد المجيد الوعلان بعنوان "الآيات الكونية دراسة عقدية" وهي رسالة ماجستير قدمت لكلية الدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام 1433/1432هـ ذكر فيها أنواع الآيات الكونية في القرآن الكريم وكيفية التعامل العقدي مع الآيات الكونية مع ذكر الإشارات العقدية في الآيات الكونية القرآنية.

ودراسة لسمية تنيو بعنوان: "خطاب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من خلال مواقع الإنترنت – دراسة تحليلية ميدانية-" وهي رسالة دكتوراه بجامعة صالح بوبنيدر قسنطينة نوقشت عام 2018-2019م وقد كانت حول نسب تصفح مواقع الإعجاز العلمي في الشبكة العنكبوتية ونوعيات الباحثين والأبحاث المقدمة في هذه المواقع وقيمتها العلمية وطبقات المتصفحين لها.

و"بحث "تضمين الآيات القرآنية الكونية في كتب العلوم المطورة للصفوف الثلاثة العليا من المرحلة الابتدائية في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية" لنوال علي الربيعان، وهو بحث في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية بغزة، يتضمن البحث دراسة توظيف الآيات القرآنية الكونية في مناهج التعليم ومدى استجابتها للمعايير المقترحة في السعودية، وهذا البحث فيه الاهتمام بتطوير التوظيف للآيات الكونية في المراحل التعليمية.

أما هذا البحث فيطرقها من جانب سبل توظيفها في الدعوة عمليا لردم الهوة بين وفرة ذكرها في القرآن الكريم وقلة توظيفها في الخطاب الدعوي.

وللوصول إلى أهداف البحث والإجابة عن إشكالياته قسمته مباحث؛ حيث أبدأ بما جاء في القرآن الكريم من الدعوة إلى الاستفادة من الآيات الكونية بالتفكر والتدبر، والأسس القرآنية الداعية إلى ذلك. ثم أذكر ضرورة هذا التفكر واقعيا، والحاجة إليه في ظل التحديات المعاصرة الكثيرة التي قد تُنسينا ترتيب الأولويات في زحمة الواجبات. ثم في القسم الثاني أدرس التوظيف الدعوي للآيات الكونية؛ فأذكر أهدافه ثم وسائله ثم أذكر المحاذير التي يجب التنبه إليها حتى لا نقع في الغلو والشطط عند تفسير الآيات الكونية بمكتشفات العلم، أو إظهار ما فيها من الإعجاز. بذكر الضوابط التي يجب الالتزام بها.

ثم خاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

المبحث الأول: التفكر في الآيات الكونية

القرآن الكريم مليء بذكر آيات الكون الدالة على قدرة الله تعالى، ويربط بين هذه الآيات وبين بعض أوصافه سبحانه. يحرك بذلك عقولنا إلى معرفة هذه الصفات عن طريق مشاهدة المخلوقات، مشاهدة تقودنا من النظر البصري إلى النظر القلبي؛ العقلي والعاطفي.

المطلب الأول: أسس دعوة القرآن إلى التفكر

لقد حفل القرآن العظيم بالأوامر التي تحث على استخدام العقل، ووردت آيات كثيرة في القران الكريم تدعو إلى التدبر والتفكر في الكون، وإن التفكر في خلق الله عز وجل يبين عظمة الله تعالى وقدرته وحكمته سبحانه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم: 8)، فالتفكر بمعنى (النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق)[1].

فكل من لا يتفكر يبقى بعيدا عن إدراك الحقائق ويعيش في الغفلة ولا يتنبه إلى سبب وجوده في هذا الكون ولا إلى وظيفته فيه، وإذا كان القرآن كتاب الله المسطور فإن الكون كتاب الله المنظور وقراءته

بالتفكر فيه واستكشاف أسراره. في ذلك يقول ابن القيم: (الرب تَعَالَى يَدْعُو عباده فِي الْقُرْآن إِلَى مَعْرفَته من طَرِيقين أَحدهمَا النّظر فِي مفعولاته وَالثَّانِي التفكر فِي آيَاته وتدبّرها فَتلك آيَاته المشهودة وَهَذِه آيَاته المسموعة المعقولة)[2] .

وللتفكر في الكون وآياته أسس قرآنية عدة، منها:

1- دعوة القرآن الكريم للنظر والاعتبار: والسير في الأرض لهذا المبتغى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: 19)، وأمر بالسير في الأرض من أجل النظر في المخلوقات لتتجدد المرئيات للإنسان، ويرى مشاهدات عديدة مختلفة، فيخرج من تحت ستار الغفلة عن الاعتبار بما يرى دلائل القدرة، (وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحوياتها، ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها، فيرى كثيرا من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولانا لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه، لأنه لما نشأ فيها من زمن الطفولة فما بعده قبل حدوث التفكير في عقله اعتاد أن يمر ببصره عليها دون استنتاج من دلائلها حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائبا عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال، فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة)[3].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 52)، فيخبر ربنا أنه يرينا الآيات ويظهرها لنا في الآفاق جمع أفق وهو الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها، والناحية من قبة السماء، فيري الله تعالى الآيات للبشر في نواحي الأرض ونواحي السماء وأقطارهما، وهذه الآفاق تشمل مختلف المخلوقات وعجائبها مما بين السماء والأرض[4].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 190، 191)، يذكر ربنا أنهم يتفكرون في هذه المخلوقات التفكر الذي يبين لهم عظمة هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها؛ عظمة علمه وقدرته وحكمته، فقال حاكيا قولهم إذ يعترفون مذعنين ومعظمين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، فهي مخلوقة بالحق كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم: 7)، (والمرادُ بالحقّ هو الثَّابتُ الذي يحِق أن يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمةِ البالغةِ والغرضِ الصَّحيحِ الذي هو استشهادُ المكلَّفين بذواتِها وصفاتِها وأحوالِها المتغيرةِ على وجودِ صانعِها عزَّ وجلَّ ووحدتِه وعلمِه وقدرتِه وحكمتِه واختصاصِه بالمعبُوديَّةِ، ... وامتازتْ درجاتُ أفرادِ كلَ من الفريقينِ حسبَ امتيازِ طبقاتِ علومِهم واعتقاداتِهم المترتبةِ على أنظارِهم فيما نُصبَ في المصنُوعاتِ من الآياتِ والدَّلائلِ والأمارات والمخايل)[5].

ورسول الله ﷺ يوضح لنا التفكر السليم أين يكون، فيأمرنا بتجنب التفكر في ذات الله وأن نتفكر في آلائه فقال: "تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله عز وجل " رواه الطبراني في الأوسط[6].

2- كثرة ذكر الآيات التي تتحدث عن الكون والمخلوقات وبعض أسرارها، فالآيات الكونية - التي تذكر الأكوان والمخلوقات - عددها أكثر من ألف آية، تشير إلى مواضيع متعددة من خلق العوالم المختلفة،

فهناك آيات تتحدث عن خلق السماوات والأرض، وأخرى عن الجبال ومنها عن النباتات والأشجار، ومنها عن الفواكه والثمار والحبوب، ومنها عن المياه بمختلف أشكالها ومصادرها، ومنها عن الأجنة ومراحل تطوراتها، وغيرها عن النجوم والأفلاك وحركتها... فلم تُذكر كل هذه الآيات عبثا، وإنما من أجل التفكر فيها والاعتبار بها.

3- **ذم الغفلة عن الآيات**: من الأسس القرآنية للتفكر أن يذم الله عز وجل من يتركه ولا يهتم به، بل يذكر أن هذا من أوصاف أهل النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يونس: 7، 8)، والآيات هي الآيات الكونية والآيات الشرعية، يقول في روح المعاني: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا المفصلة في صحائف الأكوان حسبما أشير إلى بعضها أو آياتنا المنزلة المنبهة على الاستدلال بها المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا فيه من الحياة الدنيا غافِلُونَ لا يتفكرون فيها أصلا وإن نبهوا بما نبهوا لانهماكهم بما يصدهم عنها من الأحوال المعدودة)[7]. وهذا مما يدل على أن التفكر واجب، والغفلة عن الآيات من أسباب عمى القلوب وفساد التفكير، والسيرِ في طريق الغواية والضلال الموصل إلى النار.

ويحذر رسول الله ﷺ من المرور على الآيات الكونية المذكورة دون تفكر فقال عن آية في سورة آل عمران: "لقد أُنزلتْ عليّ الليلَة آيةٌ؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: 190) الآية كلها" رواه ابن حبان[8]. وفي المقابل نجد في هذه الآية مدح الذين يتفكرون في الآيات ويصلون إلى أنها لم تخلق باطلا فيقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 191).

4- ذكر عبودية الكائنات وخضوعها لله عز وجل: من أسس التفكر في القرآن انه ينبهنا على أن هذه المخلوقات مسبحة لله تعالى خاضعة له، هذه المخلوقات التي قد يتخذها بعض الخلق آلهة يصدون بها عن سبيل الله تعالى أو يخشونها ويرجونها، أو يظنون أنهم باستكشافها قد تمكنوا من السيطرة عليها والاستغناء بها عن الله تعالى، فيأتيهم الجواب بأنهم إنما يتعلقون بما هو أصلا خاضع لله تعالى عابد له، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ مريم [94]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: 10)، فالسماء والأرض بما فيهما من المخلوقات تؤمران بالمجيء فتطيعان؛ يقال لهما: (جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقَّقِي عن الأنهار (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك)[9].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: 18)، فهذه المخلوقات كلها تسجد لله عز وجل وتخضع له طوعا وكرها، وتسبح بحمده بالطريقة التي يعلمها الله عز وجل. وخصص بعض المخلوقات بالذكر لأنها عُبدت من دون الله تعالى، فبين أنها تسجد لله مربوبة خاضعة[10]. والناظر المتفكر في هذه المخلوقات إنما يتفكر في مخلوقات تعبد الله وتخضع له وتسبّحه، وحركتها وسيرها بأمره وإذنه، لا تتحرك ذرة منها إلا بإذنه، فهي دالة على بديع صنعه وحكمته سبحانه.

5- تنوع صيغ الحث على التفكر: لقد جاءت صيغ الأمر بالتفكر متعددة؛ فمن ذلك الأمر في مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا﴾ فتأمر هنا بالنظر، والنظر نظران؛ نظر البصر بالعين ونظر العقل بالتفكّر،

ويأتي الحث على النظر والتفكر بأساليب عدة منها الاستفهام الإنكاري في قوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (ق: 6)، والنظر هنا نظر الفكر، (ومحل الإنكار هو الحال التي دل عليها كيف بنيناها، أي ألم يتدبروا في شواهد الخليقة؟)[11]. وغيرها من الآيات الحاثة على النظر على طريق استنكار تخليهم عنه.

ومن ذلك الاستفهام التقريري كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (المرسلات: 20)، ينبه هنا إلى أصل خلق الإنسان أي قد خلقناكم من المني الذي هو سائل مهين بمعنى ضعيف، أي فكيف يعجزه أن يعيدكم مرة أخرى ويبعثكم بعد مماتكم. ويذكر هذا بطريقة الاستفهام للتقرير والتوبيخ والتقريع[12].

ومن ذلك القسم بهذه الآيات وقد جاء كثيرا في كتاب الله تعالى من ذلك قسمه سبحانه بالشمس والقمر والضحى والليل والنهار والسماء والأرض والطارق والنجم والخنس والرياح المرسلات والبلد والنفس... وغيرها، وقد نهينا أن نقسم بغيره سبحانه وتعالى، أما هو فإنه يقسم بما شاء من خلقه، وما يقسم به اللهُ تعالى فإنما يقسم به ليبين لنا أنه من عظيم آياته[13]، أو يكون فيه إشارة إلى عظيم منفعته، أو يقسم به لفضيلته. وكذلك أقسم بمخلوقاته ليعتبر الناس بها؛ إذ أنها تدل على خالقها وهو الله تعالى[14].

6- ضرب الأمثال بالآيات الكونية: ومن هذه الصيغ أن يضرب الله بها الأمثال؛ والأمثال تضرب لتقريب المعاني إلى الأذهان من خلال تمثيلها بصور أو أحداث تشاهد وتدرك بالحواس. وقد كثر ضرب الأمثال في القرآن الكريم، فمن الأمثال التي ضربها الله تعالى بآيات كونية تشبيه الإنفاق في سبيل الله تعالى بإنبات النبات المثمر؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 260). وذكر بعض أهل التفسير أن ذكر الحبة هنا فيه إشارة إلى البعث؛ فإذا كان الله قادرا على أن يخرج من الحبة سبعمئة حبة فهو قادر على إخراج الموتى وبعثهم[15]. فحتى ما ضرب به المثل - وهو نبات الحبة - فيه دعوة إلى التفكر والاستدلال به على البعث والآخرة.

7- ختم الآيات بالتعقل أو التفكر: فكثيرا ما ختمت الآيات بكلمة يعقلون وبكلمة يتفكرون لتدل على ضرورة استخدام العقل وتحريكه بالتفكر في هذه الآيات وهذه المخلوقات الدالة على قدرة وحكمة وتدبير خالقها، والحذر من الكسل عن هذا التفكر والوقوع في الغفلات عن آيات الله تعالى. وفي بعضها تختتم بكلمة "أولي الألباب" وهم أهل العقول ليبين فضل الذين يستخدمون عقولهم بالتفكر في آيات الله تعالى وما أمر بالتفكر فيه، ولا يمرون على الآيات مرور الغافلين النائمين. وقد تختم الآيات بذكر السمع والبصر كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة: 26)، وقوله: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة: 27)، وهذا استفهام تقريري، جاء ليدل على أن إحياء الأرض بعد موتها وقع تحت أبصارهم، وفيه أن (دلالة إحياء الأرض بعد موتها دلالة مشاهدة)[16]. وليحض على استعمال هذه الحواس استعمالا مفيدا، يتعدى استعمالها مع الغفلة إلى اليقظة والتنبه عن طريق استعمال العقل؛ للتدبر والتفكر في ما تدل عليه محسوساتها.

8- **عرض الآيات الكونية في القرآن العظيم بأسلوب ميسر للفهم**: فعند ذكر الآيات الكونية في القرآن الكريم تجدها مذكورة بأسلوب ميسر، وصورة واضحة للعقل، سهلة للإدراك؛ بحيث يمكن للعامي أن يفهمها ولا تعسر عليه إذا ما شُرحت له الكلمات. ولا يعني هذا أن الناس يتساوون في فهمها وإدراك أسرارها؛ فهذا يختلف فيه الناس بحسب اختلافهم في مداركهم، وفيما أوتوا من العلم، ولكن تجد هذه الآيات سهلة ميسرة لأنْ يفهمها من يقرأ القرآن وتُشرح له وإن كان قليل العلم، لأنها توضح وتثبّت قضايا

الإيمان وتجلي عظمة الله عز وجل، وهذا يأتي في القرآن ميسرا واضحا، ليهدي الناس الطالبين للحق بأيسر طريق وأوضح سبيل.

إن هذا التأمل في آيات الله المبثوثة في الكون ليغذي العقل بالحكمة، ويعمق إدراك الإنسان، لما يرى من الحسن والانتظام والإحكام الذي يحيّر الألباب ويبهر العقول، والذي يدل على سعة علم الله وشمول حكمته وتفرد مشيئته سبحانه، وعلى لطفه وبره وكرمه.

قال عثمان القرشي: (فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش سبل متصلة إلى معرفته تعالى، وحجج بالغة على أزليته، والكون جميعه ألسنة ناطقة بوحدانيته، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه المتبصرون على قدر بصائرهم)[17].

المطلب الثاني: ضرورة التفكر في الآيات الكونية

إن الكون المنظور الفسيح هو صنع الله تعالى وكل شيء فيه بل كل ذرة فيه تجد فيها آية وعبرة ودلالة على قدرة الله تعالى، فلذلك كان لابد من النظر والتدبر والتفكر والاعتبار بهذه الآيات والمخلوقات والظواهر الكبيرة التي نشاهدها في هذا الكون الفسيح. وهذا التدبر يدلنا على وحدانية الله، وينبهنا إلى أنه لا يمكن أن تكون هذه الآيات وهذه المخلوقات المتناسقة؛ كل هذا لا يمكن أن يكون جاء بمحض الصدفة، بل هو دليل على أن هناك قوة خبير عليم تقف وراء هذا الخلق وهذا التناسق، وهذه الدقة في الخلق.

واستجابة لأمر الله تعالى بالتدبر في الآيات الكونية، ولأمره بالدعوة إلى الله؛ فإن استخدام الآيات الكونية لازم للدعوة إليه سبحانه، ومهم للدلالة عليه، ومفيد لفتح الأذهان للوصول إليه، خصوصا ما كان قد نبه إليه القران الكريم من الآيات الكونية التي نعلم أنها قد ذكرت كثيرا في كتاب الله تعالى، وذكرت بعض دقائقها وخفاياها، مما يصعب على الأذهان في عصر التنزيل إدراك حقيقته وتفاصيل كنهه.

إن استخدام هذه الآيات وتفاصيل ما ذكر منها في القرآن الكريم مهم لتنبيه الأذهان إلى الإيمان بالله ربا، وإلى صدق ما جاء في القران الكريم وأنه ليس من عند البشر. وأدلة هذا في القرآن الكريم كثيرة وفيرة، وقد ذُكر بعضها في أسس التفكر في القرآن الكريم.

وفي هذا العصر انتشرت العلوم والكونية، وعظم تأثر الناس بها وباكتشافاتها واختراعاتها، بل صارت في بعض الأحيان فتنة لأناس ظنوا أنهم عن طريقها سيكتشفون غوامض الخلق وسر الروح، وسيستغنون بذلك عن الخالق سبحانه؛ فكان لزاما على الداعين إلى الله تعالى أن يدلُّوا الناس عليه عن طريق هذه العلوم التي أريد منها أن تصد الناس عنه سبحانه. وقد أثبت الواقع أن المعرفة بعلوم الكون ودقائقها دعا كثيرا من العلماء الذين عاشوا في وسط إلحادي إلى الاعتقاد بوجود الخالق، والاعتراف بقدرته ودقة تدبيره. فاستخدام هذه العلوم للدلالة على الله ودينه لازم وواجب على الأمة، ممثلة في علمائها وأهل الدعوة فيها.

وانتشار العقلية العلمية التجريبية واعتمادها مصدرا وحيدا للمعرفة في بعض الأحيان، وعند طوائف من البشر، يحتم علينا استخدام هذه العلوم للمحاجة عن الحقائق الإيمانية؛ إذ أن الإيمان لا يتنافى والحقائق العلمية والاكتشافات الكونية، خصوصا مع دعوة القرآن إلى ذلك كثيرا والتنبيه عليه.

إن تاريخ الحضارة الإسلامية شاهد على اهتمام المسلمين بتطوير العلوم التجريبية والاشتهار بها وكثرة البحث في تفاصيلها ومخبآتها، فقد تطورت فيها الرياضيات وتقدمت بحوثها، وتوسعت فيها أبحاث الطب ومداواة الأمراض والتشريح والجراحة، وكذلك أبحاث الكيمياء والميكانيك، كلها تقدمت شوطا كبيرا

في القرون التي ازدهرت فيها حضارة المسلمين وعلومهم. بل إنه ما من فرع علمي تخصصي نشأ في الغرب إلا وقد كانت معالمه الأولى قد نشأت قبل ذلك في علوم المسلمين[18].

وهذا التقدم في العلوم هو الذي مكن الحضارة المعاصرة من الوصول إلى ما وصلت إليه، وإلا لكانت تتأخر سبعة قرون أو ثمانية. يقول غوستاف لوبون: (نثبت الآن أن تأثير العرب في الغرب عظيم أيضاً، وأن أوربة مدينة للعرب بحضارتها... وترى تأثيرهم العلمي والأدبي والخلقي فيه عظيماً. ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصوُّر حال أوربة حينما أدخلوا الحضارة إليها... ودامت همجيةُ أوربة البالغة زمناً طويلاً من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوربة بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناسٌ رَأَوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطرَ العرب الذين كانوا أئمةً وحدهم)[19].

وقد كانت تعاليم الإسلام وهدايات القرآن هما الداعي الذي دعا المسلمين إلى الاهتمام بعلوم الكون والاجتهاد في معرفة دقائقها والتقدم في هذه العلوم النافعة[20]. فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾ (الغاشية: 17-20)، ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 186).

فلذلك لم يعرف المسلمون في تاريخهم التعارض بين العلوم التجريبية والحقائق الإيمانية، بل كانت هذه العلوم دائما مفتاحا للولوج إلى خبايا الكون، واكتشاف الأقوام والأراضي المختلفة. فينبغي مواصلة استخدام هذه العلوم في الدعوة إلى حقائق الإيمان، وإلى هداية الإسلام.

ثم إن توظيف الآيات الكونية لدعم الحقائق الإيمانية مهم لتثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين والمسلمين، وحتى لا تكون العلوم التجريبية صادا عن الإيمان بل تكون داعما عظيما لتثبيت الإيمان في القلوب، ومواجهة الشبهات التي ما فتئت أطراف كثيرة تبثها لصد المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم. إن معرفة المسلم بالحقائق العلمية التي دل عليها القران الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ولم تكتشف إلا في هذا العصر يزيد المؤمن إيمانا، ويثبت قلبه ويريح نفسه، ويعزز يقينه، ويحسسه بقوة ما عنده فيزداد إيمانا ويثبت في مواجهة موجات التشكيك الكثيرة.

المبحث الثاني: توظيف الآيات الكونية في الدعوة

لقد كانت الآيات الكونية مهمة لتحريك العقل والقلب من أجل المعرفة والثبات على الإيمان ولاتزال بتلك الأهمية، وإن اختلفت طرق التحريك بها، واستُحدثت مجالات للبحث فيها، وتفرعت تخصصات علمية كثيرة لاكتشاف خباياها. ومع ذلك تبقى فاعلا مهما لفتح القلوب للإيمان، والدلالة على قوة براهين الإسلام عن طريق توظيفها بلغة هذا العصر.

المطلب الأول: أهداف توظيف الآيات الكونية في الدعوة

إن توظيف الآيات الكونية في الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه يحقق غايات شرعية كبيرة، وثماره جلية للعاملين في مجال تعريف الناس بالله تعالى والتمسك بدينه، ومؤثرة في المدعوين تأثيرا واضحا. فمن هذه الأهداف:

1- **تثبيت الإيمان في قلوب المسلمين**: إن الدعوة إلى الله تقوم على مخاطبة العقل والقلب، وعلى مخاطبة الفكر والوجدان. والآيات الكونية القرآنية ليست مجرد مشاهد طبيعية تتمتع العين بالنظر إليها،

والأذن بسماع ما فيها من أصوات، وإنما هي دلائل على قدرة الله عز وجل وحكمته وعلمه، ووسيلة للإقناع والاقتناع بحقائق الإيمان.

إن المؤمن يحرص دائما على تثبيت عقيدته حتى لا تزول وزيادة إيمانه كي لا يضعف، والتفكر في الآيات الكونية مهم جدا لتثبيت الإيمان والتعرف على صفات الله عز وجل والإحساس والشعور بها، فتكون الآية الكونية والمخلوقات وأسرارها مدخلا للتعرف على الله عز وجل، وزيادة الإيمان به وزيادة الثقة بقدرته وقوته وحكمته وتدبيره ونعمته. إن المتأمل في مخلوقات الله يرى روعة الخلق ويحس بقدرة الله وعظمته في هذه المخلوقات وتتحرك حرارة العاطفة في قلبه، ويشعر بالهيبة والخشية منه سبحانه وتعالى وهو يتأمل بديع مصنوعاته، فلا يملك إلا أن يقول: سبحانك ما خلقت هذا باطلا.

فلفت نظر المسلمين والمؤمنين إلى الآيات الكونية مهم جدا في دعوتهم إلى الثبات، وفي تعزيز اليقين وفي دعم الثقة بالدين، وفي إحياء الإحساس بالفطرة الإيمانية، وفي كفهم عن التأثر بشبه الملحدين وشبه ناصري النظريات المختلفة المخالفة لحقائق الإسلام وهديه في مختلف المجالات.

وإحساس المسلم بعظمة الله عندما يتفكر في آياته الكونية المذكورة في القرآن الكريم، ويطلع على الإعجاز العلمي والتشريعي في كتاب الله عز وجل يعطيه الثقة في صدق مختلف الشرائع التي جاء بها الدين والوحي الشريف، وأنها الحق المبين. لقد جاءت آيات القران الكريم تدعو إلى البحث في أسرار المخلوقات فتبث في المؤمن روح الثورة على المفاهيم الخاطئة التي انتشرت بين أهل الملل؛ تلك المفاهيم التي تخاف المعرفة، وتدعو إلى الرضا بالجهل، وتخاف المخلوقات الكبيرة، وتؤله ظواهر الطبيعة بدل فهمها والاستدلال بها على الحق. وتبث فيه روح الثورة على الخرافة والتفسيرات الخرافية المخالفة للنظر العقلي والمشاهدات الحسية.

2- **الاستدلال على أصول الإيمان ودحض أباطيل المعارضين وإقامة الحجة على المخالفين**: لقد جاء في القرآن الكريم ذكر كثير من الآيات الكونية في معرض الاستدلال بها على العقيدة وبيان فساد شبه الكفار والمخالفين للرسل. فقد وردت فيه مناظرات ومحاورات عدة لهذا الغرض، فمن أدلته ما يذكره تعالى من الآيات الكونية المقرونة بالنظر والتدبر للاستدلال على أصول العقائد مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 21)، أي من (دلائل وجوده وبراهين قدرته على البعث والنشور ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على عظمهما وكثافتهما، وكثرة أجزائهما بلا مادة، فهو أظهر قدرة على إعادة ما كان حيًا قبل ذلك)[21].

ومنها ما يرد به على الخصوم ويلزم أهل العناد؛ بتقرير المخاطب بطريق الاستفهام عن الأمور التي يسلم بها الخصم حتى يعترف بما ينكره، كالاستدلال بالخلق على وجود خالق في مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: 33)، ومن ذلك الاستدلال بالمبدأ على المعاد، وبسهولة الإعادة لما تم بدء صنعه؛ لأن صنع الشيء أولا يكون أصعب من إعادة صنعه مرة أخرى، كالذي ورد في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8)﴾ (الطارق: 6-8)، أي (أن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء وجب أن يقدر بعد موته على رده حيا)[22]. وكذلك الاستدلال على الحياة بعد الموت للحساب بحياة الأرض وإنباتها بعد جفافها وموتها، وقد ورد هذا في مواضع عدة كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (فصلت: 38)[23].

وفي هذا العصر ينتشر الإلحاد وإنكار الحكمة من المخلوقات، ولكن النظر والتدبر في آيات الله الكونية، والتأمل الدقيق في خلقها يظهر الحكمة والإبداع فيها. والنظر العقلي في المخلوقات يظهر عجزها عن التصرف لوحدها لأنه لا عقل لها ولا إرادة، فلابد لحركتها وتحولاتها من أسباب ومؤثرات، ويؤكد المنطق ومبادئ العقل أن المسبَّبات لابد من وجود أسبابها لتظهر النتائج، ومن هنا يتبين عجز المخلوقات وأنها مربوبه يتم التصرف فيها بدقة يستحيل أن تكون صادرة من مطلق الصدفة. وقد كثر التنبيه في كتاب الله تعالى إلى الإبداع والحكمة في الآيات الكونية؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33)﴾ إبراهيم (32-33)، فهنا توجيه لمشاهد كونية رائعة، تشهد بالإبداع في الخلق، والتناسق المعجز بين الجزئيات المذكورة، والتكامل الذي يوحي بأن له ربا مسيرا ومدبرا.

وهكذا بالتفكر في هذه المخلوقات سلوكها وتحولاتها يظهر ضعف شبه المعارضين والقائلين بانعدام الحكمة في الخلق، وبها تدحض أباطيل القائلين بنظرية التطور والنشوء والارتقاء.

وباستخدام الآيات الكونية تقام الحجة على المخالفين الذين يعتمدون على المكتشفات العلمية لمعارضة الإيمان بالخالق. إذ أن المسلمين مأمورون بإقامة الحجة على الناس، وفي هذا الزمان تقام الحجة بالعلوم الكونية ودقائقها، ومنه يجب إيصال رسالة الإيمان عن طريق التفكر الآيات الكونية وإبراز ارتباطها بالإيمان وإقناع الناس بالإسلام عن طريق هذه الآيات، لتكون رافدا يفتح الآفاق لهداية القلوب إلى هذا الدين، لا حاجزا يصد الناس عنه.

3- إثبات صدق النبوة: إن توظيف المكتشفات الحديثة التي أشار اليها القران الكريم قبل أكثر من 14 قرنا يظهر للناظر المتأمل العاقل الفاهم الذي يرى تقدم المكتشفات في هذا الزمان بما لم يكن متاحا للناس في عصر التنزيل؛ يظهر له الإعجاز في معرفه تلك الأسرار الكونية. وهذا مما يثبت صدق النبوة المحمدية. فالإعجاز العلمي في القران وسنة النبي ﷺ إنما يظهر الحقائق العلمية التي أشار اليها القران الكريم وسنة النبي ﷺ بما لم يكن متاحا لأهل عصر الرسالة معرفته، ولا الوصول إليه باي طريق مما يمكن للناس أن يسلكوه في ذلك الزمن. وإظهار هذا الإعجاز مهم جدا في إثبات صدق الرسالة وصدق النبي ﷺ في نظر الناس في هذا الزمن الحديث؛ المبهور بالعلم ومكتشفاته والتكنولوجيا والذكاء الرقمي وما يوصل إليه من أسرار المخلوقات.

يقول أحد المهتدين (إبراهيم خليل أحمد) بعدما رأى سبق القرآن لبعض المكتشفات الحديثة: (أعتقد يقينا أني لو كنت إنسانا وجوديا لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث - في كل مناحيه- لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحدا)[24].

إن إخبار القرآن العظيم بالحقائق العلمية الدقيقة التي لم يتم اكتشافها إلا في هذا العصر لهو دليل على ربانية مصدره وأنه من عند الذي خلق هذه الآيات ويسيرها، وهو العليم بتفاصيلها وأسرار عجائبها. وقد كان هذا سببا في إسلام كثير من العلماء الغربيين والشرقيين الذين توصلوا إلى صدق الرسالة المحمدية لما علموه من الحقائق الحديثة التي ورد ذكرها في الوحي الشريف[25].

المطلب الثاني: طرق التوظيف الدعوي للآيات الكونية في القران الكريم

يمكن أن نقسم هذه الطرق إلى ثلاثمجالات: عقلية وتعليمية ووجدانية، وبينها تداخل، فالفصل بينها ليس تاما وحاسما، إذ ما يمكن اعتباره تعليميا فيه جانب من العقل ومن الوجدان، وكذا ما أعتبره وجدانيا فيه جانب من العقل ومن الجانب التعليمي.

الفرع الأول: العقلية

1- **المجادلة بالتي هي أحسن**: لقد امر الله عز وجل بالدعوة إلى طريقه وان نسير في ذلك الطريقة الحسنة ومن هذه الطرق التي أمر بها الله عز وجل المجادلة بالتي هي أحسن، ويتم لنا توظيف الآيات الكونية القرآنية في الدعوة إلى الله عن طريق المجادلة بها المجادلة الأحسن. إن النظر في القران الكريم يظهر لنا كيف يجادل الكفار بالآيات الكونية لإثبات العقائد الإيمانية ودحض شبهاتهم، وإننا في هذا العصر لأحوج إلى طريقه القرآن في الدعوة إلى الله عبر مجادلة الكفار بالآيات الكونية المذكورة في القرآن الكريم، وإظهار الإعجاز الذي فيها. وقد أفاد هذا كثيرا من الدعاة إلى الله في الإقناع بالإعجاز القرآني، بل يراه بعضهم الطريق الأنجع في هذا الزمان ليتأثر المسلمون وغيرهم بالقرآن الكريم وعظمته. ولعل في هذا شيء من المبالغة؛ إذ أن تأثر الكفار بالإسلام نراه من نواح عديدة، والإعجاز العلمي أحدها.

ويمكننا توظيف الحقائق العلمية في شرح بعض حقائق الإسلام بتقريب هذه الحقائق والمعتقدات من أفهام أهل العصر بتأييدها بالمنطق العلمي التجريبي، ومن أعظم هذه الحقائق والقضايا التي توظف الحقائق العلمية في إثباتها قضية إثبات وجود الله تعالى؛ إذ يمكن للعلم أن يقوم بمواجهة شبهات الملاحدة عبر فروعه المتعددة. ونرى هذا جليا في كتاب جمع مقالات كثيرة التي كتبها علماء مرموقون في تخصصاتهم العلمية، هذه المقالات التي تبين كيف تُظهر حقائق العلم قضية وجود الخالق واستحالة ثبوت وجهة نظر الملحدين علميا وعقليا، هذه المقالات المجموعة في كتاب "الله يتجلى في عصر العلم" لثلاثين عالما أمريكيا.

وكذلك نرى توظيف الحقائق العلمية لنصرة العقيدة الإسلامية في كتاب "الإسلام يتحدى" لوحيد الدين خان، وكتاب موريس بوكاي "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم"[26] الذي أجرى فيه دراسة علمية لحقائق علمية وقارن بين ما ورد حولها في القرآن وما ورد في التوراة وما ورد في الإنجيل وتوصل إلى أن الحقائق العلمية المعاصرة تؤيد ما جاء في القرآن مما يدل على أنه الحق ولم تنله يد التحريف.

يقول بوكاي: "بعد تدقيق النص العربي بإمعان شديد قمت بجردة شاملة استبان لي منها انه ليس في القرآن تأكيد يمكن أن ينتقد من الوجهة العلمية في هذا العصر الحديث، وقد قمت بالتدقيق ذاته للعهد القديم والأناجيل بالموضوعية نفسها فلم يكن ثمة بالنسبة للأول ما يحوج الانتقال إلى أبعد من سفر التكوين للوقوف على تأكيدات مناقضة لمعطيات العلم المعترف بها في هذا العصر"[27].

وجهود الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة كبيرة في هذا المجال، ولها منشورات عديدة لإثبات إعجاز القرآن الكريم في جوانب المكتشفات العلمية، ومخاطبة العالم عن طريق ربط العلم بالإيمان.

ومجادلة الكفار في القرآن الكريم تظهر كيف أكثر القرآن الكريم من محاججتهم عبر الآيات الكونية والمخلوقات المختلفة. وكذلك كان الأنبياء يجادلون أقوامهم بالظواهر الكونية والمخلوقات العظيمة، وفي القرآن قصة مجادلة إبراهيم للنمرود الذي ادعى الألوهية؛ وغلبه إبراهيم بالاحتجاج بطلوع الشمس من المشرق[28]. ويكثر فيه محاجة كفار قريش بذكر بديع مخلوقات الله تعالى، وكمثال على ذلك قوله تعالى -

ردا على استبعد إعادة الموتى وإحياءهم بعد أن صاروا رميما-: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81)﴾ (يس: 78-81).

2- إظهار التناقضات مع الحقائق العلمية في الكتب المقدسة لغير المسلمين: إن إبراز الفرق بين ما ورد في القرآن من الحقائق العلمية وبين ما ورد في الكتب الأخرى حول تلك الحقائق من الأخطاء والتناقضات كما فعل بوكاي في كتابه، وإظهار بطلان ما يعارض به الإسلام بإبراز ما فيه من تناقض واختلاف؛ أمر مهم جدا لإظهار صدق القرآن الكريم وبعده عن الخرافة، وحفظه من التحريف والتبديل، وبيان أنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ويجب توظيفه في الدعوة إلى الدين الحق.

ففي الكتاب المقدس عند النصارى هناك نصوص كثيرة تتعارض مع حقائق العلم الحديث عن الكون والأرض، وتناقضات بين الأسفار المختلفة المكونة لهذا الكتاب[29]، فإبراز هذا يظهر التحريف الكثير الواقع في الكتب السابقة، وعدم صلاحيتها لاعتبار أنها كلام الله تعالى حقيقة، وأنها لا يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى الحق الذي نزل على الأنبياء السابقين.

3- بيان الإبداع وانعدام الصدفة: إذ أن نظرية التطور لها هيمنة كبيرة في الجامعات الغربية ومجلاتها العلمية، بل وتمنع ظهور الباحثين المناوئين لهذه النظرية وتسعى إلى إعدام أفكارهم بالتضييق الشديد. وصارت نظرية التطور مستندا كبيرا يعتمد عليه منظِّرو الإلحاد لتفسير الحياة ونظام الكون.

وإظهار الإبداع والتصميم والدقة والعناية والتعقيد في الخلق يضيق على فكرة الطفرات التطورية، وعلى المصادفة العمياء التي تعتمد عليها نظرية التطور، لأنه يؤكد القصد في نظام الكون وأن هناك قوة خارجية مبدعة تتولى تسيير الكون بكل ذراته. يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)﴾ (الرعد: 2)، وقال أيضا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)﴾ (الجاثية: 13).

وهذا ما يواجَه به الملحدون كثيرا في المناظرات، إذ أن الملحدين يعتمدون على نظرية التطور والانتقاء الطبيعي، أما نظرية التصميم الذكي فتواجه نظرية التطور بقوة علمية ومنطقية تزلزل فكرة المصادفة التي يعتمد عليها الملحدون في نشوء المخلوقات.

إن هذا الإبداع الدال على العناية الربانية بالمخلوقات كان سببا لاقتناع كثير من العلماء بوجود الإله ولتخلي بعضهم عن الإلحاد؛ يقول بعضهم: "ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقد، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده"[30]، وقد كانت مقالات أنتوني فلو إنجيلا للملحدين كما يقولون، لكنه بعد بحث طويل يعترف بوجود الإله ويتأثر بالإبداع الموجود في الخلق فيقول: "على الرغم من أنني كنت من قبل أنتقد بشكل لاذع حجة التصميم إلا أنه قد اتضح لي أن هذه الحجة عندما صيغت بشكل صحيح مثلت دعوى مقنعة لإثبات وجود الإله"[31].

إن الدعوة إلى الإسلام تقوم على الحجة والبرهان، لا على الإكراه، وهذا أمر واضح وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم. وسميت الآية بهذا الاسم بمعنى العلامة والحجة، ودعوات الأنبياء قامت كذلك على

الحجة والبرهان[32]، وبراهينهم كان كثير منها يعتمد إظهار الإبداع في الخلق. فاستعمال هذا الأسلوب هو سير على نهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده.

الفرع الثاني: الطرق التعليمية.

1- الدعوة لاكتشاف غوامض الكون: ومن طرق توظيف الآيات الكونية في الدعوة إلى الإسلام تحفيز المسلمين للحرص على اكتشاف الكون بدافع الإيمان وتنفيذ أمر الله تعالى بالسير والتفكر، واستكشاف مخلوقاته وأسرارها لتبيين عظمه هذا الدين والشعور بعظمة الخالق سبحانه وتعالى وزيادة معرفته، ومعرفة أوصافه والإحساس بها، وهذا لا يتم إلا عبر الضرب في الأرض لاستكشاف خباياها، وغزو الكون والفلك من أجل استكشافه وزيادة فهم كلام الله عز وجل عن هذه المخلوقات. فكلما زدنا لها استكشافا وفهما ومعرفة زادت معرفتنا وفهمنا لكلام الله عنها، وإخباره عن دقائقها، وظهرت عظمة هذا الدين. قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: 20).

لقد كان القرآن العظيم دافعا لأسلافنا للسعي لاستكشاف الحياة وأسرار الكون فتطورت بهم العلوم وكانوا ساده الدنيا ينشرون الأنوار فيها يقول موريس بوكاي: "إن الإسلام ينظر إلى العلم والدين كتوأمين وان تهذيب العلم كان جزءا من التوجيهات الدينية منذ البداية وان تطبيق هذه القاعدة أدى إلى التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمى التي استفاد منها الغرب قبل نهضته"[33] ويجب على خَلَفهم أن يحملوا المشعل لتعود للأمة ريادتها وغلبتها العلمية. ولا شك أن هذا سيكون دافعا للغافلين والكافرين إلى التأثر بالمسلمين وبدينهم، ويظهر لهم الحق ويتبين لهم الصدق.

2- استعمال الإعجاز العلمي كأداة قوية لإثبات صدق القرآن والسنة: وذلك من خلال إظهار الحقائق العلمية الثابتة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو السنة النبوية قبل أن يكتشفها العلم الكوني الحديث بقرون، ونشر البحوث المتعلقة بهذا الإعجاز العلمي. إن هذا الأسلوب مهم جدا في تقوية عقيدة المسلمين وتثبيتها، وكذلك في جذب الكفار إلى الإسلام عبر تقديم الأدلة العلمية القاطعة وإزالة الشبهات حول تعارض العلم مع الدين والإيمان. إن توظيف الإعجاز العلمي مهم جدا في الدعوة خصوصا في مخاطبة الغربيين الذين أخذتهم المادية، وصارت لغة العلم التجريبي والتقدم التقني هو اللغة المفهومة عندهم؛ والتي تكاد تكون إلها يتوكل عليه في فهم أي شيء وتفسير أي فعل.

3- إظهار الحكم العلمية من تشريع بعض الأحكام: نعلم من ديننا أن أحكامه جاءت لصالح الإنسان تقرب له المنافع وتبعد عنه المضار، ولتبيين هذه المنافع يمكننا الاستفادة كثيرا من العلم التجريبي في معرفة بعضِ حكمِ مجموعةٍ كثيرة من الأحكام؛ ما يظهر صلاحية الشريعة لكل زمان؛ خصوصا في زمننا الذي انتشرت فيه بين المسلمين أفكار علمانية تحاول تخصيص أحكام الشريعة بزمن نزولها، وأنها لا يمكن لها أن تحكم هذا الزمان الذي لا يمكن أن يحتكم إلا إلى العلم، ولا يجد العدل إلا في آراء المبرزين في هذا العلم، وهم الغربيون. فتأتي حقائق العلم مؤيدة لأحكام الشريعة ومظهرة أنه مازالت لم ترتق مختلف القوانين والأعراف والتقاليد إلى مقام أحكام الشريعة وسموّها.

يقول أبو زهرة عن الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم: "فما اشتمل عليه القرآن من أحكام سواء مل كان منها يتعلق بالأسرة أو ما يتعلق بالمجتمع وما يتعلق بالعلاقة الدولية فريد في بابه لم يسبقه شرع سابق ولم يلحق بما وصل إليه شرع لاحق، وإذا ما كان ذلك كله قد جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب،

لم يتعلم قط لا بالقلم والقرطاس ولا بالتلقين والتوقيف، ولا بالتجربة والأسفار، إن ذلك هو الإعجاز الذي تتيه العقول في تعرف سببه، إلا أن يكون ذلك من عند الله العلي الحكيم"[34].

ومن الأمثلة على ذلك نجد أن العلم يستطيع أن يعطينا صورة جلية لما تسببه الخمر والمسكرات من الآثار المدمرة للصحة، والجهاز العصبي، والسلم الاجتماعي. ونستفيد من العلم التجريبي الحديث في معرفة حكم العدة بالنسبة للمرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها، وهذا عندما يقول بعض الناس أنه لا داعي للعدة؛ لأننا نعرف بالأجهزة الحديثة وجود الجنين في البطن من عدمه؛ فيأتي العلم ليظهر لنا فائدة زمن العدة في تصفية المرأة من بصمة الزوج الذي فارقته. والأمثلة في ذلك كثيرة يمكن الاطلاع عليها في أبحاث مؤتمرات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الفرع الثالث: الطرق الوجدانية

1- إثارة المشاعر الفطرية: إن الإنسان ليقف خاشعا وهو يرى إعجاز خلق الله في تكوين الخلية، وفي مكونات الذرة التي لا تكاد ترى بالعين، فما بالك وهو يرى التناسق العظيم في تكوين أنسجة عضلاته وأجهزته المختلفة فيقرأ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم: 7). وهكذا كلما يزداد علمه بدقائق المخلوقات ينقلب الكون إلى محراب للتعرف إلى الله والتقرب إليه. إن إيقاظ هذه المشاعر الفطرية عبر التفكر في الخلق يوجه العبد نحو الإيمان وتذكر العهد القديم الذي أخذه الله تعالى على البشر وهم في عالم الذر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ اخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (الأعراف: 172).

إن الفطرة ليست عقلا صرفا ولا عاطفة صرفة، بل هي مزيج منهما. والتعرف إلى الله تعالى عن طريقها أمر ميسور، تكفيه النظرة الخالصة إلى الوجود؛ نظرة إلى السماء أو إلى الأرض أو البحار أو الرياح، أو إلى النبتة الصغيرة أو الشجرة العظيمة... نظرة واحدة تري الإنسان شواهد عظمة الله تعالى، يحتاج فقط لإبعاد الصوارف التي تصرف الإنسان عن تحسس داعي الفطرة فيه. هذه الفطرة هي التي تثور وتبرز للعيان إذا أصابت الإنسان الشدائد وظن الهلاك واقعا. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22)﴾ (يونس: 22).

2- إظهار قصص العلماء الغربيين الذين أسلموا بسبب تأثرهم بإشارة القرآن إلى المكتشفات الحديثة؛ إن التأثر بالعلماء في مجال اختصاصهم كبير بين الناس، لاسيما إذا كانوا مشهورين في العلوم الكونية. وكثير من العلماء الغربيين اعتنقوا الإسلام عن قناعة وصاروا دعاة إليه، وكان من أسباب دخولهم الإسلام تأثرهم بما أخبر به القرآن من المكتشفات الحديثة. وظهور أخبارهم وقصص إسلامهم يؤثر في المسلمين تثبيتا لهم، فإن اسم العالم الغربي له أثر في قلوب المسلمين في هذا العصر، ولكلامه مصداقية كبيرة عندهم، خصوصا إذا كان هذا العالم متخصصا في علم من العلوم الكونية. وله تأثير في قلوب الكفار كذلك؛ فظهور سبب إسلامه المتعلق باختصاصه العلمي مؤثر فيهم تأليفا لقلوبهم، وإقناعا لهم بصحة الإسلام، وصدق ما في القرآن وما جاء به من العلم والحق.

يقول رجاء جارودي - الذي كان فيلسوف الشيوعيين الفرنسيين ثم أسلم- حول تأثره بموافقة العلم الحديث لما في القرآن، الكريم: "لقد درست الإسلام كدين وحضارة وقارنت بين القرآن الكريم والاكتشافات العلمية الحديثة.. وكلما تعمقت في الدراسة اقتنعت بأنه هو الدين الذي ابحث عنه"[35].

ومن أمثلة هؤلاء العلماء الذين أسلموا بسبب أبحاثهم العلمية: كيث مور الذي كان يلقب بأسطورة التشريح، وكذلك موريس بوكاي وقد سبقت الإشارة إلى بعض أقواله، ومنهم مارشال جونسون الذي كان عالم أجنة ووجد ما توصل إليه في أبحاثه مذكورا في القرآن بدقة[36]... ومنهم الدكتور المجري جرمانوس، والبروفيسور البريطاني جورج نيلسون أستاذ علم الطفيليات، والبروفيسور آرثر أليسون رئيس قسم الهندسة الكهربائية في جامعة سيتي البريطانية، والبروفيسور جورنجر أستاذ علم الأجنة بجامعة جورج تاون، والبروفيسور جولي سامسون أستاذ علم النساء والولادة في جامعة ويسترن، والطبيب الألماني جي ميشيل أستاذ علم الأجنة، والبروفيسور تاجانات تاجسون رئيس قسم التشريح وعلم الأجنة في جامعة شاينج ماي في تايلن. والبروفيسور بالمر من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم[37]...

هذه طرق يمكننا انتهاجها للاستفادة من الآيات الكونية المذكورة في القرآن الكريم في الدعوة إلى الإسلام، وبيان عظمته، وأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المطلب الثالث: الضوابط التي يجب مراعاتها

لاستخدام الآيات الكونية في الدعوة إلى الله تعالى لا بد من مراعاة بعض الضوابط حتى لا تُفسر الآيات القرآنية تفسيرا غير صحيح ولا مقبول، خصوصا أننا نحتاج إلى الاستفادة من الإعجاز العلمي في هاته الآيات لإظهار ربانية القرآن الكريم. ولذلك لا بد من اعتماد الضوابط التي تُعتمد في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وهذه الضوابط هي:

1- ثبوت النص وصحته إذا كان حديثا نبويا، فلا يعتمد على ما لا تصح نسبته إلى رسول الله ﷺ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والمرجع في ذلك إلى أهل الحديث في معرفة المقبول من المردود. فإن كثيرا من الأحاديث الموضوعة تذكر أمورا من الظواهر الكونية، ولا يصح أن نفسر بها تلك الظواهر ولا أن نذكر أنها ذكرت في الأحاديث. وقد تكون تلك الموضوعات مخالفة للحقائق العلمية، فتكون مدخلا للطعن في أحاديث النبي ﷺ، بل حتى لو وافقت الحقائق العلمية فلا يصح أن تُذكر بأنها أحاديث تفسر الحقائق العلمية. غذ أن النبي ﷺ حذر أشد التحذير من ان يُنسب له ما لم يثبت عنه، فعن المغيرة ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار" متفق عليه[38].

ويجب التفريق بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فما كان من الغيبيات التي لا تدخل تحت حواس البشر فلا تُجعل عرضة للتفسير والتأويل بالحقائق الكونية أو المكتشفات العلمية، فإن المؤمن يمتحن بالإيمان بالغيب الذي ذكر في نصوص الوحي الشريف، ولا يتصرف في الغيبيات بتأويلها وحملها على المشاهدات والمحسوسات.

2- يجب جمع النصوص القرآنية أو الحديثية المتعلقة بالموضوع، وكذلك تُجمع القراءات المعتمدة المتواترة المتعلقة بالموضوع، والروايات الحديثية بألفاظها المختلفة[39] حتى يفهم فهما متكاملا ولا يقع الخلط أو الفهم الجزئي الذي تظهر معه النصوص الأخرى كأنها متعارضة. ثم معرفة ما يتعلق بتلك النصوص من أسباب نزول أو نسخ في آيات الأحكام، حتى يكون الفهم صحيحا غير مخالف لمراد المتكلم.

3- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتا قاطعا متجاوزة مرحلة الفرضية والنظرية: لأن الفرضيات أكثرها لا يصح، والنظريات كذلك تعارض بنظريات أخرى قد تكون أقوى منها، وقد يظهر بطلان النظرية أصلا. فلذلك لا تُقبل إلا الحقائق العلمية لتفسير نصوص الوحي الشريف. لأن الحقائق لا تبطل مع الزمن وإنما تزداد وضوحا، ونمو المعرفة بتفاصيل الحقائق لا يعني قصورا وخطأ في ما كان يعرف منها[40]. أما التساهل في تفسير النصوص بالنظريات التي لم ترتق لأن تكون حقائق يسيء إلى الوحي، ويظهره بأنه يحمل التناقض أو يقبل الخرافة، لأن النظريات قد يظهر خطؤها فتعد بعد ذلك من قبيل الخرافة القديمة، فتفسير الآيات بها يظهر كأن القرآن يدعو إلى التفسيرات الخرافية، وفي هذا إساءة بالغة وطعن في الدين، وصد عن سبيله بدل أن يكون سبيلا للدعوة إليه.

وعند تفسير بعض الآيات بحقائق علمية يجب أن لا نجعل ذلك التفسير هو التفسير الوحيد للآية، بل يكون وجها من أوجه تفسيرها. فيجب أن يُعلم أن الآية قد تحمل من المعاني والحكم ما لا يُحصر بعدد معين، وأن أسلوب القرآن في عرض الآيات الكونية مرن يحتمل وجوها عدة من التأويل والفهم. والزمان مما يفسر القرآن؛ أي أننا في كل زمان نكتشف معاني أخرى لبعض الآيات لم يسبق لها المتقدمون، فلا نحصر معاني الآيات في ما سبق إليه المفسرون السابقون. وكذلك تفسير الآية بالحقيقة المكتشفة حديثا لا ينفي تفسير العلماء القديم للآية، ولا يُخَطِّئُه[41]. بل إن هذه السعة في المعاني من معجزات القرآن الكريم.

4- وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص بشكل واضح[42]؛ فيجب أن لا يكون التفسير مُتكلفا ولا تكون الإشارة مستبعدة، ولا تكون الكلمات غير دالة على الحقيقة بالوضع اللغوي العربي، وبدلالات الكلمات في عصر نزول الوحي. لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فكل تفسير لا يؤيده اللسان العربي فإنه باطل ولا يصح أن يفسر القرآن أو السنة به. فالاستعمالات اللغوية الحقيقية أو المجازية للعبارة إن احتملت الحقيقة العلمية فيمكن أن تفسر الآية بتلك الحقيقة وإلا فلا.

ويجب أن يُعلم أن الحقائق العلمية لا يمكن أن تخالف القرآن الكريم، لأنه كلام الله تعالى الذي خلق الحقائق والأكوان والظواهر الكونية، ولا يمكن أن يخبرنا بخلاف ما خلق. فلذلك ما يظنه بعض الناس من أن شيئا من القرآن مخالف لحقيقة علمية أمر لا يثبت وفي غاية الفساد؛ فهم إما لم يفهموا كلام الله تعالى، أو ما يذكرونه من الحقائق ليس بحقائق وإنما هو نظريات أو فرضيات. ولم يحدث في التاريخ أنه اكتُشفت حقيقةٌ علمية توصل إليها المختصون في مجالها خالفت حقيقةً قرآنية قطعية[43].

فهذه ضوابط تجب مراعاتها لئلا تؤدي الدعوة عن طريق الآيات الكونية إلى عكس المراد منها، وحتى تؤتي ثمارها المرجوة.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث أصل إلى أن معرفة الحقائق العلمية القرآنية جدار صلب تتكسر عليه سهام الإلحاد الذي يراد له أن يكون دينا للعلوم التجريبية تفسر الحياة عن طريقه ومن خلاله. وإن حسن استخدام هذه العلوم بمنطق رصين كفيل بإظهار عوار الإلحاد وفساد تفكير الملحدين، ودحوض أراءهم وسفه عقولهم.

وإظهار إبداع الله تعالى وحكمته في ظواهر خلقه آية عظمى لأهل الإيمان، تعرف الناس بربهم وتجعلهم يشعرون ويحسون بآياته وكأنها تلامسهم بأيديها. ويمكن استخدامها الاستخدام الأحسن لفتح القلوب وتنوير العقول وهدايتها إلى نور الإسلام.

والدعوة إلى الله عز وجل عن طريق آياته الكونية منهج رباني لايزال خيره منهلا لا ينفد، ويبقى على اختلاف العصور والذهنيات ثابتا لا يزيده تقدم الزمان إلا ثباتا ووضوحا. وإن واجب المسلمين حسن استخدام آيات الله تعالى المبثوثة في الكون لمواصلة الدعوة إلى الله تعالى ودينه، حتى يصل هذا الخير إلى كل مكان وكل إنسان. ويكون ذلك بحسن فهم الدعاة لهذه الآيات ومعرفة ما يُنشر حولها من اكتشافات عبر برامج علمية دعوية رصينة.

وإن إظهار بحوث الإعجاز العلمي المنضبط مدخل كبير لقلوب أهل هذا العصر خصوصا الكفار، إذ أن إظهار تقدم القرآن قبل أكثر من ألف سنة إلى ذكر بعض دقائق مكتشفاتهم الحديثة يبين لهم قوته وربانية مصدره.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

2- أبو المجد سيد نوفل، أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد52، د.ت.ط.

3- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م.

4- أنتوني فلو، هناك إله، ترجمة: جنات جمال، مركز براهين، ط1، 2017م.

5- الحسيني الحسيني معدي، علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2007م.

6- زين الدين ابن رجب الحنبلي (ت795هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1425هـ - 2005م.

7- سامي عامري، العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، مركز رواسخ، الكويت، ط4، 1442هـ/2021م.

8- سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360هـ)، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة.

9- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد، السعودية، ط1.

10- عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ط2، 1427هـ 2006م.

11- عبد المجيد الزنداني، إنه الحق، ط4، 1427هـ 2006م.

12- علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، مكتبة رحاب، الجزائر العاصمة، ط2، 1409هـ -1989م.

13- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م.

14- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423هـ - 2002م.

15- محمد أبو زهرة، شريعة القرآن من دلائل إعجازه، سلسلة الثقافة الإسلامية، 1381هـ-1961م.

16- محمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ)، أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، لبنان.

17- محمد الأمين بن عبد الله الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ - 2001م.

18- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

19- محمد أمين حسن محمد بني عامر، أساليب الدعوة والإرشاد، جامعة اليرموك، 1999م.

20- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، التبيان في أيمان القرآن، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، د ت ط.
21- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1393هـ - 1973م.
22- محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، عام 1422هـ.
23- محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/ 2000م.
24- محمد بن حبان (ت354هـ)، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
25- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417هـ/ 1997م.
26- محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ.
27- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/ 1991م.
28- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، السعودية، ط2، 1416هـ/1996م.
29- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط3، 1421هـ/ 2000م.
30- موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ/ 1990م.
31- مونتغومري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة: حسين أحمد أمين، دار الشروق، بيروت، لبنان.
32- نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت.ط.
33- وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ترجمة ظفر الإسلام خان، مكتبة الرسالة، د م ط.
34- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط2، 1418هـ.

الأنترنت:

35- حامد شاكر العاني، الإعجاز القرآني دلالة على أن المستقبل لهذا الدين، نشر في 2014/12/25، https://www.alukah.net/sharia/0/80277/

الهوامش:

(1) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م، ج6، ص305.

(2) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751)، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1393هـ -1973م، ص20.

(3) محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج20، ص230.

(4) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، م س، ج25، ص19. ومحمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ)، أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج6، ص376. ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417هـ -1997م، ج3، ص118.

(5) أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج7، ص51.

(6) سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360هـ)، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، ج6، ص250، ح 6319.

(7) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، ج6، ص70.

(8) محمد بن حبان (ت354هـ)، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج2، ص386، ح620.

(9) محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/ 2000م، ج21، ص439.

(10) انظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط2، 1418هـ، ج17، ص177. وتفسير ابن كثير، (م س)، ج5، ص403.

(11) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (م س)، ج26، ص285.

(12) انظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (م س)، ج29، ص430.

(13) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، التبيان في أيمان القرآن، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، د ت ط، ص5 و13.

(14) انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية، ط1، ج5، ص1948. ومناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط3، 1421هـ- 2000م، ص303.

(15) الألوسي، روح المعاني، (م س)، ج2، ص33.

(16) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (م س)، ج21، ص242.

(17) زين الدين ابن رجب الحنبلي (ت795هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1425هـ -2005م، مج 5، ج2، ص224.

(18) مونتغومري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، بيروت، لبنان، ص47.

(19) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، ص386.

(20) انظر: علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، مكتبة رحاب، الجزائر العاصمة، ط2، 1409هـ -1989م، ص46.

(21) محمد الأمين بن عبد الله الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ -2001م، ج22، ص103.

(22) محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ، ج31، ص121.

(23) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (م س)، ص 313- 314.

(24) الحسيني الحسيني معدي، علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص19.

(25) انظر: عبد المجيد الزنداني، إنه الحق، ط4، 1427هـ 2006م، ص 27، 65.

(26) نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 11- 16. وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مكتبة الرسالة، د م ط، ص 195- 205. موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ/ 1990م، ص 209- 222.

(27) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، (م ن)، ص20.

(28) أبو المجد سيد نوفل، أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد52، د.ت.ط، ص 107.

(29) انظر: سامي عامري، العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، مركز رواسخ، الكويت، ط4، 1442هـ/2021م، ص111.

(30) مجموعة من الباحثين، الله يتجلى في عصر العلم، (م س)، ص52.

(31) انتوني فلو، هناك إله، ترجمة جنات جمال، مركز براهين، ط1، 2017م، ص102.

(32) محمد أمين حسن محمد بني عامر، أساليب الدعوة والإرشاد، جامعة اليرموك، 1999م، ص 51.

(33) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، (م ن)، ص 21.

(34) محمد أبو زهرة، شريعة القرآن من دلائل إعجازه، سلسلة الثقافة الإسلامية، 1381هـ-1961م، ص10.
(35) علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، (م س)، ص48.
(36) انظر: عبد المجيد الزنداني، كتاب إنه الحق، يذكر عدة قصص لعلماء أسلموا بسبب الإعجاز العلمي للقرآن.
(37) حامد شاكر العاني، الإعجاز القرآني دلالة على أن المستقبل لهذا الدين، نشر في 2014/12/25، https://www.alukah.net/sharia/0/80277/
(38) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ح 1291. ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقين دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ-1991م، المقدمة، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، ح4.
(39) عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ط2، 1427هـ 2006م، ص 31.
(40) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423هـ - 2002م، ص698.
(41) مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، السعودية، ط2، 1416هـ/1996م، ص172-173.
(42) عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، (م س)، ص 31.
(43) مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، (م س)، ص174، وعبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، (م س).